دور الأسرة في توفير
السند النفسي والاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة

أ.بن يوسف أمال

جامعة المدية

ملخص:

تعتبر الأسرة أولى بيئة اجتماعية تحتضن الطفل منذ ميلاده، تسعى هذه المؤسسة لتوفير الجو النفسي والعلائقي والتربوي الذي يساعد طفلها على المعايشة والتأقلم قدر الإمكان مع الظروف الاجتماعية المحيطة به ومحاولة بناء شخصيته السليمة ليتماشى ويتوافق مع البيئة المحيطة به، وذلك بتوفير وتكوين أفراد صالحين ومنتجين في المجتمع، هذا في الحالة العادية –في حال وجود طفل سليم وخالي من الإعاقة–أما إذا صادف أن كان طفلا حاملا للإعاقة وأدرج ضمن فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، فان دورها هذا يكون أثقل وجد شاق على اعتبار أنها تتعامل مع أفراد ذوي خصوصية ويتميزون بقدر كبير من الحساسية والرهافة والهشاشة النفسية .

مقدمة:

إن ولادة طفل معاق في أي أسرة يؤثر لا محال على كل أفراد الأسرة وخاصة الولدين، إذ يحدث لديهما انهيار تام، وفراغ عاطفي وخيبة أمل كبير على اعتبار أن الطفل وميلاده يمثل مشروع بالنسبة للوالدين وحلم جاري تحقيقه، فهما في مرحلة تكوينه الجنيني يتصورونه في أحسن الصور ويبنون له

حيات خيالية خالية من التعقيد والمشاكل ويرسمون به ويحققون من خلاله الأشياء والرغبات والأحلام التي لم يستطيعوا تحقيقها هم، فيسقطون كل رغباتهم وأحلامهم في هذا المولود الجديد، إلا أنه بميلاده بعاهة ما فان كل الأحلام والتصورات المستقبلية سوف تتحطم ويصابون بخيبة أمل، على اعتبار أنهما المسؤولين عن تكوين هذا الطفل، وبهذا يصابان بخيبة وبجملة من الضغوطات النفسية والانفعالية، ويحدث الصراع والتصادم بينهما فيقعان في إسقاط اللوم والتبريرات والعتاب وإرجاع السبب إلى احد الطرفين ويغرمونه، وذلك كمحاولة للتخفيف عن الضغط النفسي وتجنب مسؤوليته عن ذلك، وغالبا ما يسقط اللوم وترجع الأسباب إلى الأم لوحدها، على اعتبار أنها التي ستوكل إليها الأعباء والمهام الإضافية لضمان بقاء هذا الطفل وسلامته من الناحية الجسدية والنفسية والعلائقية .

ومن ذلك لا يمكن نكران ما للأسرة من دور في بناء شخصية الطفل وفي تكوينه النفسي والعلائقي والاجتماعي، وذلك من خلال الانطباعات والمفاهيم والأدوار التي تتاح له فيها والتي تكونها حوله، فصورته عن نفسه تتكون وتنشأ من انطباعات وأحكام وأراء الآخرين فيه وخاصة الأقربون منه وبذلك تكون صورة المدركة طبق الأصل للصورة الظاهرة في مرات الآخرين.

إن هذا الطفل يأتي إلى هذا العالم المادي الاجتماعي وهو بحاجة ماسة إلى رعاية واهتمام أكثر من أقرانه ممن هم في مثل سنه، ولديه حاجياته الخاصة به تختلف أو تزيد عن حاجيات الأطفال من ذوي سنه والذين يكونون في حالة جسمية أو عقلية أو سلوكية خاصة، ومن أولى هذه الحاجات النفسية بالدرجة القصوى.

لا يمكن الحديث عن ذوي الاحتياجات الخاصة، بمعزل عن انتماءهم الاجتماعي، ويمكن رصد خمسة اتجاهات للآباء نحو أبناءهم المعوقين، الاتجاه

الأول ويتمثل في القبول، والاتجاه الثاني والمتمثل في الإنكار لوجود أي أثر للإعاقة والاتجاه الثالث والذي يمثل التدليل والحماية المفرطة، وكذا الاتجاه الرابع والمتضمن الإعراض المقنع والرفض الجزئي، أما الاتجاه الخامس فيضم الإعراض والرفض الكلي للإعاقة والإهمال النهائي، فمن خلال هذه الاتجاهات التي ينتهجها الآباء يتحدد مصير ونظرة المعاق إلى نفسه على الاعتبار أن الطفل يكون صورة عن نفسه من خلال نظرة الآخرين وتقييمهم لقدراته وإمكانياته، فتلك الاتجاهات التي تحملها الأسرة تنعكس على تكوين مفهوم الذات عند الفرد المعاق لان الإعاقة لا تؤثر في حد ذاتها على الفرد بقدر ما يؤثر الخوف والحرمان من طرف الآباء على أبناءهم فسلوكات الآباء المتراوحة بين أعراض، التبرير، الإسقاط، الإنكار، الميل نحو الانطواء، السلوكات الدالة على عدم التكيف، وأمام هذا الأثر البالغ والمباشر للأسرة على المعاق في توفير ومساعدته على تحقيق التوافق النفسي-الاجتماعي والذي يظهر في تلك العلاقة التي يحقق بها الفرد حالة من الاتزان مع نفسه، كما يحقق بها أيضا حالة من الاتزان مع المحيط الخارجي فيظهر عليه حالة من الاستعداد الداخلي والرغبة في مواصلة الحياة والعيش والمعايشة مع الحالة التي هو علية بوجود النقص الجسدي أو الوظيفي التأقلم والتكيف مع الحياة الاجتماعية ومتطلباتها وإظهار حالة الاتزان من خلال تقبله للآخرين من أفراد أسرته مدرسته

وتعرف المساندة الاجتماعية على أنها المعلومات المقدمة من طرف الآخرين المحيطين بالفرد جراء شبكة العلاقات والاتصالات الاجتماعية، تؤدي إلى تكوين اعتقاد بان هناك من يهتم ويعتنيه ويساعده عند الحاجة وينعكس على التقييم الذاتي لهذه العلاقات والمصادر الاجتماعية المتاحة من قبل المحيطين به.

كما نستخلص أن تصور الفرد بأنه محبوب ومقبول وموضع تقدير واحترام وبذلك ينتمي إلى الشبكة الاجتماعية ويمكنه بذلك أن يكون ضمن الجماعة ويقوم ويتقاسمها نفس الأدوار، أما في حال انه كون صورة سلبية ورافضة لصورته الحالية فانه سينعزل ويتمرد على الجماعة ويشعر بالدونية الاحتقار لذاته.

ومن خلال تلك الاتجاهات التي تحملها الأسر حول أبناءها تتحدد معاملتها وطريقة التعامل مع هذه الفئة بخلاف معاملتها لابناءها الآخرين، ومن هذه المعاملة تتحدد أنواع المعاملة الأسرية، حيث نجد:

الأسر النابذة:

أكدت مجموعة من الدراسات مثل دراسة J.Boulduine (1980) أن هنالك منازل وأسر تمتاز بطابع النبذ والإهمال لهؤلاء الأطفال بحجة عجزهم وعدم الجدوى من تعليمهم وتدريبهم وإعطاءهم المهام لأنهم لا يستطعون، فقد نجد الأب نابذا والأم تقوم بحماية مفرطة، وهذه الحالة تؤدي إلى نظام غير مستقر وصراع أبوي مستمر مما يؤثر سلبا على التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق أين تكون اهتماماته ورغباته نبذا مستمرا بأنه يحاول إخضاعه إلى القواعد الصارمة لذلك يلجؤون إلى أساليب القسوة دون حجة، أما النوع الثاني من النبذ فيترجم على شكل تجاهل لرغبات ومتطلباته، وكلا النوعين من النبذ يعطي غير متوافقا، يميل إلى الانعزال والانطواء وتجنب المواقف التي يتعامل معها مع الآخرين.

الأسر الديمقراطية:

هذا النوع من الأسر يعتبر عاملا من عوامل تحقيق التوافق، لأن سياسة التعامل داخل هذه الأسرة تقوم على أساس الحرية والديمقراطية، أين يحترم

الوالدين رغبات وشخصية ذوي الاحتياجات ويعملان على تنمية اتجاهاته وقدراته، ومساعدته على تجاوز أزمة الهوية التي يتعرض لها ويعرضونه إلى مواقف تمكنه من تكوين صورة حقيقية حول الذات والتقدير الحقيقي لإمكانياتهم، وكذلك منح الطفل حرية التعبير عن أفكاره ومبادئه، وهذا النموذج من الأسر يعطيه قادرا على تحمل مسؤوليته وتحقيق استقلاليته، وتعطيه نفس الأدوار .

الأسر المتسامحة:

إن أية معاملة تقوم على التسامح المعقول والمضبوط، تمكن الطفل من تحقيق التوافق النفسي -الاجتماعي بطريقة أسهل، لأن هذا النوع من المعاملة ينمي في الطفل الشعور بالأمن الحقيقي، ويوفر له جوا يساعده على الاستقلال الشخصي والتحرر التدريجي، وتعويد الطفل على القيام بالمهام والأدوار التي تمنحها الأسرة لباقي أبناءها ولا تفرق بينهم، وان تسامح أبناءها وخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة في حال ما اخطئوا ولم يستطيعوا القيام بها في أحسن صورة، لكن يجب أن يكون التسامح في حدود مضبوطة حيث أن ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يتمتعون باهتمام مفرط، يكون سلوكهم أقرب إلى سلوك الأطفال الأقل منهم، كما أنه يجدون صعوبات في توافقهم مع العالم الخارجي، لأنهم يطلبون ويريدون من الآخرين ذلك الاهتمام الزائد والحماية المفرطة، وحتى في المحيط المدرسي فإنهم يتوقعون هذا النوع من أسلوب المعاملة من الزملاء والأساتذة، وهذا النموذج من الأسر يعطيهم غير قادرا على الاستقلالية والاعتماد على النفس.

أن هذا النوع من المعاملة تدفع الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة إلى العصيان اللجوء إلى بعض الأساليب العدوانية، والنتيجة واحدة هي اضطراب عملية النمو وفشل التوافق النفسي-الاجتماعي.

وعليه فأي عمل يقوم به المختص النفسي والادارين والفئات التي تتعامل مع هذه الفئة تأتي ثماره ونتائجه إلا من خلال القيمة والأدوار والانطباع الذي تقدمه الأسرة حوله، فإذا أرادت المؤسسات أن تقوم بتعويد الطفل وإكسابه الخبرات والمعارف التي تساعده على التأقلم والتكيف مع الحياة ، والتوافق الذي يعني إحداث تغيرات وتعديلات في السلوك على حسب المواقف والحاجات والإمكانيات .

المراجع:

-الشاذلي محمد عبد المجيد2001:

-كاشف فؤاد ايمان2002:**إعداد الأسرة والطفل لمواجهة الإعاقة،** دار قباء للنشر التوزيع، القاهرة، ط1.

-محمد جاسم محمد 2004: **المدخل الى علم النفس العام،** ط1

-شويخ احمد2007:**أساليب تخفيف الضغوط النفسية الناتجة عن الأورام السرطانية،** رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن.